مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

التصوف في العراق

الكتـــاب الثاني والسبعون – ديسمبر(كانون الأول) 2012
كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

التكايا والطرق الصوفية بسامراء وديالى حاضراً

ياسر محمد ياسين البدري الحسيني(*)

ظلت الطرق الصوفية بوسطيتها المعروفة وبعدها عن التطرّف تمثل صمام الأمان للتعايش السلمي، ونبذ العنف في المجتمعات المسلمة، وبالذات تلك التي يتعايش فيها المسلمون مع أصحاب ديانات ومعتقدات أخرى، مما أسهم بصورة كبيرة في نشر الدين الإسلامي في أوساط هذه الطوائف نتيجة لحسن المعاملة التي وجدوها من المسلمين في تلك البلاد، والتي تجلت فيها سماحة الإسلام وحثه على التحلي بمكارم الأخلاق والبعد عن العنف.

(*) باحث وأكاديمي عراقي، استاذ الحديث بالجامعات العراقية.

يرجع أصل التصوّف كسلوكٍ وتعبد وزهد في الدنيا، وإقبال على العبادات واجتناب المنهيات ومجاهدة للنفس، وكثرة لذكر الله إلى العد النبوي. و انتشاره في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، جاء كرد فعل لحالة الترف وانغماس الحكّام في الملذات والبعد عن الدين القويم، حيث انتشرت ، كمظهر من مظاهر الترف التي شوّهت هذه الحقبة من تاريخ الإسلام، وقد بدأت كنزعات فردية وتطوّرت لتصبح جماعات عرفت بالطرق الصوفية، ويتوحد منهجها في الدعوة للعودة بالإسلام إلى عصره الزاهر وتزكية النفس بالزهد والرياضات التي تسمو بالروح إلى معرفة الذات الإلهية، وتعمل على تربية وتهذيب وتزكية أتباعه من (المريدين) بالعبادات والرياضات لمجاهدة النفس وصرفها عن اللهو والترف والتقيد بشرع الله.

وتنتشر الطرق الصوفية في كل بقاع العالم الإسلامي، ويتبعها أعداد كبيرة من المريدين، وتتعدد هذه الطرق بتعدد مشايخها وأماكن انتشارها، إلا أنها تجمّع على المنهج الصوفي، منها الطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني (بغداد) وهي من أكبر الطرق الصوفية وأكثرها انتشارًا، خصوصاً في العراق ومصر ودول شرق إفريقيا وآسيا، والطريقة الرفاعية نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي في العراق، وانتشرت في دول العالم الإسلامي والطريقة الشاذلية والدسوقية والبدوية، وغيرهما من الطرق، وتمتد معظم هذه الطرق في دول العالم العربي والإسلامي ويوجد مريدون لها في المدن المختلفة.

لم تكن الطرق الصوفية في يوم من الأيام بعيدة عن الهم الإسلامي كما يُحاول أعداؤها تصويرها كجماعة منعزلة ومنكفئة على ذاتها وغير منفعلة بهموم الأمة الإسلامية، بل كانت ولم تزل تقود التغيير في المجتمعات الإسلامية، وفي مرحلة الاستعمار الذي ظل جاثمًا على صدر الأمة الإسلامية لعقود من الزمان قاد المتصوّفة قوافل المجاهدين لقتال المستعمر حتى تحقق النصر في بلدان العالم الإسلامي.

ومع تنامي الحضارة المادية التي قادت المجتمعات نحو الخواء الروحي تقف بشدة لملء هذا الفراغ أوساط المجتمعات المسلمة بالدعوة والقدوة من أجل الحفاظ

على المجتمع المسلم طاهرا من الرذائل والمنكرات.

سامراء والتصوف

سامراء المدينة العريقة الحالمة التي تفترش شرق دجلة على ساحلها، الواقعة شمال بغداد 118كم. تلك المدينة الفاتنة التي لا تشيخ، على الرغم أنها موغلة في القدم منذ تل الصوان[1] وطور فخار سامراء[2] وحين تعاقبت عليها الأزمان والدهور عادت من جديد (221هـ) عندما اتخذها الخليفة العباسي الثامن المعتصم بالله بن هارون الرشيد عاصمة له فازدهرت بقصورها الشاهقة، وجوامعها الكبيرة التي عدت مرحلة متقدمة في الفن المعماري، وأصبحت موطن الثقافة [3].

ما كتب عن سامراء حضارة وسياسة وتاريخًا كثير، إلا أن ما كتب عن التصوف فيها وجذوره قليل، إن لم يكن نادرًا.

المراقد والمزارات الدينية فى مدينة ما بحد ذاته دليل على إسلامية المدينة وهندستها، وكانت ولا زالت تمتلك الدور الكبير في استنهاض الشعوب بوصفها مهوى قلوب الناس من الثوار والصلحاء، ولا تقتصر النهضة على جانب دون آخر، فهي عملية متكاملة.

لقد كان لمرقد الإمامين العسكريين الهادي والحسن العسكري، وأهل بيتهم عليهما السلام الأثر الرئيس في إعمار المدينة وازدهارها اقتصاديًا وثقافيًا. وهذا أحد الأسباب الرئيسة لديمومة التصوف في هذه المدينة كون آل البيت والأئمة منهم، خاصة هم أس التصوف وسلسلته الذهبية.

إن التصوف الإسلامي قد تتشابه وسائله في الزهد والنسك والتصفية من

---

(1) حضارة قبل الميلاد تقع أطلالها جنوب سامراء على بعد 11كم. انظر، حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الحرية للطباعة، 1985، ص 126.

(2) طور من أطوار ما قبل التاريخ عثر في سامراء على هذا الفخار عالم الآثار الألماني هرزفيلد سنة 1912. انظر، طه باقر، تاريخ الحضارات القديمة 1ص 61.

(3) محفوظ فرج إبراهيم، سامراء في النصف الثاني من القرن العشرين، شركة الحوراء للطباعة، بغداد 2010 ص11.

خلال الدخول إلى مكامن النفس البشرية؛ واستنهاض همة المسلم في التعبد والتنسك واختيار طريقة العبادة في أرقى صورة يبحث عنها. والصوفية التي نشأت في بدايات القرن الثالث الهجري، وعلى كثرة مذاهبها تتشابه في الغاية وهي العبادة على أكمل وجه والوقوف بين يدي الله بصفاء روح ونقاء سريرة رغم اختلاف المؤسس واختلاف طريقته عن الآخر. وقد اعتمد مؤسسو المذاهب الصوفية على الآيات والأحاديث النبوية، التي كانت تدعو إلى القناعة والرضا والشكر لله في كل ملمة والصبر على كل مصيبة والالتجاء إلى الله في كل حال.

ومع قيام السلطنة العثمانية في العراق انتقل التصوف إلى طور جديد، لقي المتصوفة فيه كل أسباب الدعم والرعاية من قبل سلاطين البيت العثمانين الذين عملوا على تشييد العديد من المراكز الصوفية كالزوايا والرُبط والخوانق التي أُعدت لإقامة المتصوفة الوافدين إلى العراق من سائر أرجاء العالم الإسلامي وقد أدى ذلك التشجيع إلى بروز وانتشار العديد من الطرق الصوفية التي تعد مهمتها مقتصرة على تخريج أفواج المريدين والأتباع فحسب، بل أصبحت مراكز للتفقه في الدين ومن ثم التأثير الروحي على العامة في مختلف مدن العراق وقراها النائية.

تنوعت التكايا في سامراء، مثل بقية المدن العراقية، التي أنشئت وساعد الاحتلال العثماني للعراق في نشأتها واستمرارها؛ لِما قدمه من التسهيلات باعتبارها مكانًا للدعاء للسلطان العثماني آنذاك. وتذكر المصادر أن مكان التكايا متفرقة في محلات وأزقة المدينة، وقد ذكر الشيخ يونس الشيخ إبراهيم التكايا في كتابه: تاريخ سامراء، وكتابه: السيد أحمد الرفاعي.

التكايا ودورها

تشير الدراسات التاريخية إلى أن المؤسسات من زوايا وخوانق[4] ومقامات

(4) الخانقاهات (جمع الخانقاه): معبد ديني وتعليمي، وهي اسم أطلق عليها السّلجوقيون، ثمّ أُطلق عليها العُثمانيون اسم تكيّه، وهو لا فرق بينهما إلاّ في إضافات أجنحة مثل سكن للصوفية ومدرسة للتعليم وكانت تأوي الفقراء وتُطعم الدراويش وأبناء السبيل./ التّكايا (التّكية): وهي نوع من المعابد التي ظهرت في العهود الإسلامية المتأخّرة، وتعززت في أيّام الدولة العثمانية ويقيم في هذه المؤسّسات أعداد كبيرة من الدراويش. الزّوايا (الزّاوية): كانت بداية الزّوايا بداية علمية، حيث يتّخذ كل شيخ أو عالم زاوية من زوايا أحد المساجد الكبرى

في سامراء سابقة للفترة العثمانية هناك، ولقد اكتسبت اسم تكايا في فترة الوجود العثماني أو كان وصف تكية يطلق عليها بين أوصاف أخرى؛ فتاريخ التصوف في هذه المدينة من متصوفة الدولة العباسية وأشعارهم في العاصمة سامراء ومن بعدهم، حيث مدرسة الشيخ محمد بن دشم الكردي الجاكيري الزاهد العالم من كبار مشايخ العراق في قرية راذان في صحراء سامراء.

إنشاء التكايا

التكية أكثر شمولًا وضخامة من المدرسة، وتضم المسجد الذي يشغل جناحًا خاصًا في جهة القبلة، وغرفًا للسكن والمطاعم والمطابخ ومخازن التموين والقاعات والحدائق، كما ألحق ببعض التكايا مكتب لتعليم الأولاد.

التكايا والزوايا نمط من البناء يتكون أولًا من المسجد المستقل، وثانيًا المجمع السكني المتكامل المرافق، ثم عناصر معمارية أخرى تلحق عادة بالتكية وتحتل غرفا أو قاعات مستقلة، وهي الضريح، أو أضرحة بعض الأولياء والأمراء، أو المدرسة، أو المكتبة، وغير ذلك من أبنية ذات نفع عام. وبذلك تكون التكية تطويرًا لشكل المدرسة معماريًّا ووظيفيًا، وربما هي مزيج من المدرسة والخانقاه.

هناك من يؤكد أن التكية كتسمية ظهرت في العصر العثماني. وكانت الغاية منها إيواء الدراويش وأبناء السبيل والفقراء والمساكين وإطعامهم من ميزانية وقفت لذلك. وبالإجمال، فهي ظهرت في العهد العثماني إلى جانب المدرسة كمجمع معماري له هندسة وتخطيط جديد.

في العصر العثماني تغير الحال وظهرت التكايا، وتكاد التكية أن تكون مثل الخانقاه من حيث الغاية، والذين يقصدونها يعيشون مما تنفقه عليهم الأوقاف المحبوسة من أهل البر والإحسان، وفي المرحلة الأولى من العهد العثماني قام نظام الدراويش الذين كانوا يجتمعون في مساجد عُرفت باسم التكايا، والواقع أن التكية

لتعليم الفقه، وتفسير القرآن الكريم، وعلوم الإسلام الأخرى، وكان لكل شيخ مريدوه، وأتباعه، وكانت كل زاوية تسمّى باسم شيخها.

أخذت تؤدي وظيفة إقامة المنقطعين للعبادة من المتصوفة، كما أنها قامت خلال العصر العثماني بدور آخر وهو تطبيب المرضى وعلاجهم. ولقد تطور دور التكايا بعد ذلك، وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين المهاجرين من الدولة الأم والنازحين إلى الولايات الغنية مثل مصر والشام والعراق، ولهذا صحَّ إطلاق لفظ التكية ومعناها مكان يسكنه الدراويش، وهم طائفة من الصوفية العثمانية، والأغراب وغالبا ممن ليس لهم مورد الكسب.

ثمة قول بأن التكايا قد وقفت لها الأوقاف وصرفت لها المرتبات الشهرية، ولذا سمي محل إقامة الدراويش بالتكية، لأن أهلها متكئون، أي معتمدون، في أرزاقهم على مرتباتهم في التكية، وهذا رأي ضعيف لا يعتد به لأن معظم المريدين والمشايخ من الفقراء، واستمر سلاطين آل عثمان وأمراء المماليك في الإنفاق على تلك المباني وعلى سكانها.

التكية بناء شبيه بالفندق، وهي خاصة بأصحاب الصوفية الذين ينزلون فيها مجانًا من أجل التعبد وممارسة الطقوس الصوفية والرياضة الروحية برئاسة شيخ يرعى شؤون الدروايش؛ وقد انتشرت التكايا في أراضي السلطنة العثمانية وبقيت قائمة حتى الحرب العالمية الأولى، ثم أهملت من بعد ذلك.

أثر التكايا في الحياة العلمية والاجتماعية

تعد التكايا من المؤسسات الاجتماعية والخيرية التي كانت مأوى للمنقطعين والفقراء من الصوفية والدراويش وأصحاب الطرق، ومنزلًا للعلماء، ومكانًا لممارسة الشعائر الدينية، كإقامة الأذكار والمواليد النبوية واتخذت كجوامع بعد عمارتها، وإضافة وحدات بنائية سكنية وخدمية إليها.

حظيت التكايا باستقلاليتها في مرحلة ما بعد سقوط الدولة العثمانية والولاة العثمانيين لكونها تعد من المؤسسات الاجتماعية والخيرية، التي كانت مأوى للفقراء والطلاب والدراويش، ومكانًا لممارسة الشعائر الدينية، وإقامة حلقات الذكر والإرشاد والوعظ وتأدية الصلوات الخمس، فالتكايا تعد ضرورة دينية وثقافية واجتماعية

وسياسية عن طريق الترابط العضوي القائم بين إصلاح المجتمع والتصوف خلال كل العهود، فضلًا عن الدور المهم للتكايا في الحياة الاجتماعية من خلال بث روح الألفة والمحبة والتضامن بين الناس. إضافة إلى دورها التعليمي أيضًا، وقد تناول البحث مجموعة من التكايا التي برزت في سامراء منذ أواخر العهد العثماني وحتى يومنا هذا. ومن أبرز الطرق الصوفية التي نشطت في سامراء الرفاعية والقادرية والنقشبندية.

كما ألحقت بالتكايا مكاتب لتعليم الأولاد القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم وقد شيدت معظم التكايا على طراز البيوت السكنية، أو أنها كانت بيوتًا سكنية أوصى أصحابها أن يدفنوا فيها بعد مماتهم وتصبح ربطًا[5] لأصحاب الطرق الصوفية.

كانت للتكايا أهمية دينية واجتماعية وثقافية كبيرة، فلذلك ازدادت عناية الولاة ومن بعدهم ذوو اليسار من الناس بها فوقفت الأموال والعقارات على هذه التكايا للصرف عليها وحمايتها وتهيئتها لإقامة المتصوفة وانعزالهم، وممارسة الشعائر الدينية الخاصة بها[6].

ويتألف أعضاء التكايا من الشيخ المسؤول، وخدم الرعاية المقيمين والقادمين من الزهاد عبر البلاد طلبا للمعرفة ورغبة في إعطاء المتعبدين والفقراء، وإطعام الفقراء والمتصوفة، وإكسائهم، تصرف رواتب شهرية لهؤلاء الأعضاء وتخصص لهم ما يحتاجون إليه من الفوانيس والشموع، وتوزع الحلويات في المناسبات الدينية[7]. لقد مرت هذه التكايا بمرحلتين أساسيتين هما:

1- المرحلة الأولى: تميزت بالنشوء، والبناء، وظهور المذاهب المتعددة، ونشر الفكر الصوفي بين المسلمين، وبناء الزوايا، ومحلات العبادة، والتعليم، والعمل على

(5) هي المعاهد المبنية والموقوفة للفقراء، المنجد في اللغة والأعلام، (بيروت، 1986)، ص 245.

(6) حميد محمد حسن الدراجي، الربط والتكايا البغدادية في الفترة العثمانية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996، ص189.

(7) سالنامة ولاية بغداد لسنة 1329هـ، بغداد شابندر مطبعة سنده طبع أو لنمشدر، ص186.

تكوين القاعدة الشعبية المتمثلة في الأتباع، والمريدين، وبخلق المناخ الملائم لنموها وانتشارها عبر أنحاء الوطن، والظهور بمظهر الورع والتقوى والتمسك بمبادئ الكتاب والسنة.

2- أما المرحلة الثانية: تميزت بالمحافظة على التراث العربي الإسلامي والرياضة الروحية؛ ونشر الدعوة الإسلامية بين الناس، حيث كانت هذه الزوايا عبارة عن مؤسسات دينية، ومراكز ثقافية، ونوادي اجتماعية، يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم، وتعاليم شريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم والمعارف، ويقيمون العلاقات الاجتماعية والعسكرية والسياسية.

الطرق الصوفية في سامراء

تعود بدايات التصوف الحديث في المجتمع السامرائي إلى نهاية القرن التاسع عشر، إبان حكم الدولة العثمانية التي عملت على إرسال شيوخ ومفتين ينتمون إلى المدرسة الصوفية وإلى المدرسة العلمية الدينية التي أسست في عهد السلطان عبد الحميد[8]، ومع سيادة نمط التدين الشعبي في المجتمع العراقي، في سياق التحولات التي طالت الدين الإسلامي بقراءاته المتعددة الظاهرية والتأويلية والعرفانية وكذلك سهولة الحركة والانتقال داخل بلدان العالم الإسلامي بتوطن عائلات صوفية عريقة أرض العراق عامة وسامراء خاصة من شتى أنحاء العالم الإسلامي.

فقد أنجبت سامراء على مر تاريخها أعلامًا كبارًا في التصوف والزهد المقرون بالعلم والمعرفة، ولا نستطيع استعراض أسمائهم جميعًا لضيق المقام، وقد مارسوا عباداتهم ورياضتهم الزهدية في الزوايا والتكايا والربط والخانقات، ونتحدث اليوم عن الربط والزوايا في القرن العشرين وإلى الآن والتي هي موجودة في سامراء أو التي اندثرت، والتي أشار إليها الكتاب أو ما هو متناقل على ألسنة الناس

(8) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، دار الوراق، 2007م، ص117 ؛ موفق المرجة، السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج للطباعة. الكويت (1984م)، مطابع دار الكويت للصحافة الأنباء، ص: 121.

الثقاة أو ما نشاهده اليوم بأم أعيننا وزرناها بأنفسنا. وتقسم هذه التكايا بحسب طرقها الموجودة وهي:

الطريقة القادرية

الطريقة التي سميت باسم شيخها ومرشدها وهو: الولي الكبير السيد الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وعليهم السلام.

ولد الشيخ سنة (470هـ- 1077م) في قصبة من بلاد كيلان ولما شب تعلم القرآن ثم رحل إلى بغداد سنة (448هـ- 1095م) فدرس العلوم العقلية والنقلية، ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياضة والسياحة وملازمة السهر والجوع حتى صار من كبار السادة الصوفية. وتوفي قدس سره سنة (567هـ - 1165م).

التكايا القادرية القديمة

المتتبع لأخبار العلماء والمشايخ يروي لنا أن هناك تكايا في سامراء تعود للطريقة القادرية وهي إما من طريق السادة القرجوارية أو السادة الكسنزانية أو القادرية النقشبندية فقط، علما أن هناك الكثير من المشايخ يرجعون إلى الطريقة القادرية، وحسب الوثائق وجدنا تكيتين قديمتين لهذه الطريقة وهما:

1. تكية السيد الشيخ عبد الله العابد الدراجي القادري النقشبندي، الذي سلك وأجيز بالطريقة على يد العلامة الكبير عبد الحميد الآلوسي سنة (1289هـ) ؛ وهو شقيق العلامة مفتي بغداد أبو الثناء الآلوسي صاحب تفسير «روح المعاني»، وتقع تكيته في زقاق البو دراج خلف شارع البنك حاليا[9].
2. تكية السيد الملا ياسين الحاج شهاب الأحمد البدري، خادم ومدرس القرآن

(9) يونس الشيخ إبراهيم، الشيخ عبد القادر الجيلاني، حياته آثاره، مكتبة الشرق الجديد 1988 ص70.

الكريم، والواقعة مدرسته وتكيته في بيته مجاور دار الشيخ محمود فايز البدري والسيد عبد الرحمن الخطيب في زقاق الشيخ وهيب الرفاعي قرب مقام الإمام الهادي من الجهة الغربية، والوثيقة التي بين أيدينا يعود تاريخها إلى سنة (1328هـ) والتي هي إجازة بفتح تكية وإعطاء البيعة للمريدين بإمضاء من السيد الشيخ حسن قرجوار القادري طريقة والقادر كرم مدينة.

3. تكية الشيخ إبراهيم محمد الخلف السامرائي في محلة القلعة بسامراء وهو خليفة قرجواري قادري[10].

أما التكايا التي ظهرت بعدهما، فأول من برز منها في عقد الستينيات من القرن الماضي فهي:

تكية متوليها الخليفة السيد عبد القادر الدسمة الشامان هو خليفة السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان قدس سره، وقد زرتها وحضرت فيها حلقات الذكر.

تكية متوليها الخليفة السيد جاسم البدري وهو خليفة للسيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان قدس سره، وقد زرتها أكثر من مرة وحضرت فيها حلقات الذكر.

التكايا الموجودة في الوقت الحاضر

أما اليوم وبعد توسع المدينة وانتشار التصوف بفضل الإرشاد الذي تقوم به الطريقة العلية القادرية الكسنزانية؛ فقد تم فتح تكايا كثيرة في سامراء لكثرة المريدين لهذه الطريقة وهذا المنهج العذب، بعد أن جلس على سجادة المشيخة السيد الشيخ محمد بن السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني قدس سره، والتكايا هي كما يلي:

1. التكية المركزية في سامراء والواقعة في حي الجبيرية، والتي تعرضت لاعتداء بتفجير قبتها وهي قيد التعمير الآن، وتدار من قبل مجموعة من الخلفاء.

(10) يونس الشيخ إبراهيم، الشيخ عبد القادر الجيلاني، ص 70.

2. تكية متوليها الخليفة صلاح مهدي عباس، وتقع في حي الضباط.

3. تكية متوليها الخليفة نعيم عباس خميس.

4. تكية متوليها الخليفة ناهض محمد جاسم، وتقع قرب صحن الإمام علي الهادي عليه السلام.

5. تكية متوليها الخليفة السيد غانم عباس أحمد، وتقع في حي الجبيرية.

6. تكية متوليها الخليفة محمد شاكر.

7. تكية متوليها الخليفة ماجد أبو الساعات، وتقع في حي السكك.

8. تكية متوليها الخليفة محمد ادهام، وتقع في الطريق بين سامراء والضلوعية.

9. تكية متوليها الخليفة السيد عبد الكريم الدراجي، وتقع في الحويش.

10. تكية متوليها الخليفة السيد ارميض صالح، وتقع في الجبيرية.

11. تكية متوليها الخليفة السيد زكريا الدراجي، وتقع في الحويش.

12. تكية متوليها الخليفة مجيد محمد عبد.

13. تكية متوليها الخليفة علاء الرحماني، وتقع في العرموشية.

الطريقة الرفاعية

الطريقة التي سميت على اسم مؤسسها ومرشدها الغوث الكبير السيد أحمد الرفاعي، الفقيه الشافعي الأشعري الصوفي، 12 – 5785 هـ، الملقب بـ «أبو العلمين» و«شيخ الطرائق» و«الشيخ الكبير» و«أستاذ الجماعة». إليه تنتسب الطريقة الرفاعية من الصوفية، وأحد أقطاب الصوفية المشهورين.

هو السيد أحمد أبو العباس بن علي بن يحيى بن ثابت بن حازم علي أبي الفوارس بن أحمد المرتضى بن علي بن الحسن الأصغر المعروف برفاعة بن مهدي المكي أبو رفاعة بن أبي القاسم محمد بن الحسن القاسم المُكنى بأبي موسى بن الحسين عبد الرحمن لقبه الرضي المحدث بن أحمد الصالح الأكبر بن موسى الثاني بن إبراهيم المُرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد الإمام أحمد الرفاعي في العراق في قرية حسن بالبطائح (والبطائح عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة) وفي السابعة من عمره توفي أبوه في بغداد فكفله خاله الشيخ الزاهد منصور البطائحي (دفين بلدروز-العراق) وهو الذي رباه تربية دينية.

التكايا الرفاعية القديمة

1. تكية البو غلام ومتوليها السيد ماجد وأمجد وبعد وفاتهما تولاها أولاد السيد أمجد آل غلام الرفاعي.

2. تكية آل الشيخ عباس ومتوليها السيد عبد الحميد الشيخ وهيب وبعد وفاته تولاها ابنه الدكتور يونس رحمه الله.

3. تكية السيد عبد المجيد بن عبد الوهاب، وبعد وفاته تولاها ابنه السيد مصطفى عبد المجيد.

4. تكية السيد شاكر محمد الغلام، وتولاها بعد وفاته ابنه السيد عبد اللطيف.

5. تكية السيد عبد الغفور محمود الغلام وقد تولاها بعد وفاته ابن الشيخ طه.

6. تكية أبو صوفه أحمد الغلام وقد تولاها بعد وفاته ابنه السيد محي.

7. تكية السيد شامل الشيخ وهيب الرفاعي وما يزال هو متوليها مع كبر سنه.

8. تكية الشيخ عبد الستار كامل الشيخ وهيب وقد تولاها بعده ابنه كامل.

9. تكية الحاج محمود عبد القهار وقد تولاها بعد وفاته ابنه السيد عبد المنعم.

10. تكية السيد محمود الشيخ لفته النيساني، وقد تولاها بعده أحد أبنائه.

11. تكية السيد مهدي الشيخ جاسم أبو خمرة وقد تولاها بعد وفاته ابنه الأستاذ جاسم.

12. تكية الشيخ محمد الشيخ أحمد الشامان وقد تولاها بعد وفاته ابنه الشيخ كاظم.

13. تكية الشيخ مهدي محمود الشيخ كاظم الرفاعي، وقد تولاها بعد وفاته أحد أبنائه.

14. تكية السيد حميد المحدد آل الشيخ أحمد الكاظم الرفاعي وقد تولاها ابنه السيد أحمد.

15. تكية الشيخ جهاد الشيخ حسن العزاوي، وقد تولاها بعده ابنه الشيخ الدكتور أياد جهاد.[11]

التكايا الموجودة في الوقت الحاضر

أكثر التكايا المتقدم ذكرها ما تزال موجودة ومتوارثة للأبناء عن الآباء وكون مدينة سامراء مدينة تنتشر فيها الطريقة الرفاعية أكثر من الطريقة القادرية ودخولها سامراء أقدم من الطريقة القادرية حسب ما توفر لنا من وثائق وما تناقلته شفاه الثقاة، فهي ما تزال عامرة وفي بيوتاتها السابقة نفسها.

(11) يونس الشيخ إبراهيم، السيد أحمد الرفاعي، حياته آثاره، مكتبة الشرق الجديد، (د.ت)،ص 113- 116؛ وقد زرتهما جميعا وبكثرة وحضرت فيها الأذكار والمناقب.

التكايا النقشبندية في سامراء

لا يوجد في سامراء تكايا نقشبندية في العهد الماضي، إلا ما ذكر عن علماء أجلاء كانوا يدرسون في المدرسة العلمية الدينية في سامراء من أمثال الشيخ سعيد النقشبندي والشيخ القصاب رحمهم الله تعالى. أما اليوم فقد برزت ومنذ ثمانينيات القرن الماضي الطريقة النقشبندية في سامراء ووجدنا لها رباطات (تكايا) ومنها:

1. تكية الشيخ عباس بن فاضل الحسني في القلعة. وهو من أتباع مدرسة الشيخ مصطفى النقشبندي.

2. تكية الشيخ موسى آل ياسين آل عبد العظيم الحسيني، وهو من أتباع الشيخ عبد الجبار النقشبندي.

خلاصة

1. سامراء مدينة دينية النزعة صوفية المنهج محبة لآل البيت ومتمسكة بهم وبأصولهم.

2. الطرق المنتشرة في سامراء منذ القدم هي الرفاعية والقادرية. والرفاعية أقدم وأكثر تكايا، إلا أن ما نشاهده اليوم من انتشار الطريقة القادرية بات أسرع وأكثر عملا ومريدين بينما الرفاعية مريدوها أكثرهم بالفطرة والتوارث.

3. الطريقة النقشبندية دخلت سامراء بداية الثمانينات من القرن العشرين.

4. سامراء مدينة ولادة للعلماء والمثقفين وجل علمائها ومثقفيها صوفيو النزعة والعقيدة.

التصوف في محافظة ديالى

إن التصوف تجربة روحية خالصة، أو هي حال يعانيها الصوفي من خلال توجهه إلى خالقه لعبادته في سبيل الوصول إلى الغاية المرجوة، وهي تزكية النفس وصفاء القلب وإصلاح الأخلاق، وتعتبر محافظة ديالى من مناطق العراق المهمة التي احتضنت عدة مدارس صوفية عبر التاريخ الإسلامي، حيث انتشرت فيها الكثير من المدارس الصوفية، وسوف نذكر هذه المدارس بشيء من التفصيل في الوقت الحاضر ومشايخ هذه المدراس الصوفية.

إن حركة التصوف في ديالى كبيرة وواسعة، وللمدارس الصوفية تأثير فعال في الوسط الاجتماعي وذلك من خلال اعتناق أعداد كبيرة من أهالي محافظة ديالى للتصوف وحبهم واحترامهم الكبيرين له ولمشايخه. كل هذه الأمور جعلت من التصوف منهجًا مقبولا من قبل الناس من كل المذاهب والأطياف لأنه المنهج الوسطي للدين فهو يجمعهم على كلمة سواء وعلى ذكر الله وطاعته ومحبة رسوله وأهل بيته والصحابة الأجلاء والصالحين.

إن الهدف والغاية من هذا البحث هو التعرف على التكايا والطرق الصوفية في محافظة ديالى حاضرًا، وكذلك معرفة دورها في الحياة الاجتماعية والإصلاح. وكذلك توضيح مسالك ومشارب هذه الطرق والتكايا ومرجعياتها الروحية وأماكن انتشارها في المحافظة، وتأثيرها الروحي على أهالي هذه المحافظة. هناك عدد غير قليل من التكايا والطرق الصوفية في محافظة ديالى، نوجزها بالآتي:

أولا- التكية الكسنزانية: تعتبر التكية الكسنزانية من أهم وأكبر التكايا الصوفية، حيث تنتشر هذه الطريقة في عموم المحافظة تقريبًا، والتكية الكسنزانية الرئيسية في المحافظة تقع في المركز في مدينة بعقوبة، حيث يرتادها عدد كبير من الناس على اختلاف مذاهبهم وقومياتهم صغارًا وكبارًا من الرجال والنساء.

وإن انتشار تكاياها في المحافظة قد جعلها من أبرز الطرق الصوفية في المحافظة، فمنهجها قائم على الالتزام بالأخلاق المحمدية ومنهج التصوف السليم،

وإنها تواكب عجلة الزمن من حيث التطور والمعرفة.

وتنتشر التكايا الكسنزانية في المحافظة حيث تكاد لا تخلو منطقة من تكية كسنزانية، فالتكايا الكسنزانية تتواجد في بعقوبة ومنطقة زهرة والعبارة وزاغنيه ودلي عباس وخان بني سعد ومنطقة سيف سعد والراشدية ومنطقة حمرين وبلدروز وشهربان والسعدية والشيخ بابا، ويرتاد هذه التكايا الكثير من المريدين كل يوم ومن مختلف المذاهب والقوميات، وتقام فيها الأذكار كل يوم اثنين وخميس، وهي مفتوحة على مدار الساعة، فهي مأوى المنقطعين والفقراء والمساكين، حيث يقدم فيها الطعام يوميًا.

الجدير بالذكر أن الطريقة الكسنزانية اشتهرت بمشايخها الكبار الذي كل واحد فيهم هو غوث زمانه وفريد دهره وسلكوا طريق جدهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واتبعوا نهج الإسلام وأفاض الله عليهم رضوانه وبركاته التي لا تعد ولا تحصى. حيث كتب لهم القبول لدى عامة الناس وخاصتهم.

ثانيًا-التكية القادرية: التكية القادرية أو الطريقة القادرية، وتقع في محافظة ديالى في مركز المحافظة بعقوبة عند مدخل ناحية بهرز، ويترأسها الشيخ مصطفى بن الشيخ هاشم الخشالي الذي أخذ البيعة من حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان سنة 1975 وكذلك أخذ عدة بيعات من عدة مشايخ، وانتهج منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني في مدرسته، وقبل أن يوافيه الأجل أخذ البيعة ابنه الشيخ مصطفى من أبيه، ولهم عدة تكايا في ديالى، ويجتمعون كل يوم جمعة لإقامة حلقة الذكر الخاصة بهم، وإن إعطاء البيعة عندهم لمن يريد أن ينتمي إلى هذه المدرسة الصوفية فتتم عن طريقة الشيخ الحاضر فقط أو مسؤول المدرسة الخاصة بهم.

ثالثًا- التكايا الرفاعية: تعتبر الطريقة الرفاعية من الطرق الصوفية المهمة في محافظة ديالى، والمؤثرة لكثرة عدد التكايا الموجودة هناك، ولها عدة فروع وتسميات ومشايخ، وإن البعض منهم أطلقوا على مدارسهم تسميات عشيرتهم أو ألقاب أجدادهم أو لقب من قام بفتح التكية أو الذي أسسها، ولكنهم يرجعون جميعهم إلى جناح الطريقة الرفاعية وإلى جدهم السيد أحمد الرفاعي مؤسس

الطريقة الرفاعية.

إن التكية الرفاعية الرئيسية تقع في بعقوبة الجديدة – حي السلام – والقائم بها هو السيد عبد الرزاق ابن السيد محمد حسون كريوي النجداوي وكالة، وقد درس السيد محمد حسون مرشد التكية الرفاعية في بعقوبة وتتلمذ على يد خليفة (أبو خمرة الرفاعي) الشيخ محمد طه القيسي، وأخذ العهد الرفاعي على يد الشيخ (عبد الله بن الشيخ صالح بن الشيخ يوسف بن الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الوهاب الأطرش السادة الرفاعية).

إن تكايا الطريقة الرفاعية منتشرة في عموم المحافظة تقريبًا، فمنهم من تفرع عن المدرسة الأم واتخذ نهجه الخاص، وفي بعقوبة ثلاث تكايا للطريقة الرفاعية والرئيسية وهي:

السادة الرفاعية (بيت أبو خمرة) أو الخمريون هم من أكبر البيوتات الرفاعية المنتشرة في المحافظة، ولكنهم ينقسمون إلى قسمين منهم الرفاعية، والقسم الثاني القادرية، ولكنهم يرجعون جميعهم إلى جناح الطريقة الرفاعية للسيد الشيخ أحمد الرفاعي ويعتبر جدهم الأول أبو خمرة الرفاعي الذي يرجع نسبه إلى إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، والمسلك القادري أو الفرع القادري يرجع نسبهم إلى السيد الشيخ محمد الملقب بالهندي الذي عاش في العراق ودفن قرب مرقد الشيخ أحمد الرفاعي (قدس الله سره).

مسالك وفروع الطريقة الرفاعية في ديالى:

1. تكية السيد ابو صفاء الحاج نصيف جاسم أحمد الكروي تقع في زاغنية.
2. تكايا آل الشيخ علي بن أجود الرفاعي في دلي عباس / الشيخ حسن سعيد آل أجود الرفاعي.
3. تكايا آل بيت شيخ كمر الرفاعي / في زاغنية الشيخ داود.

4. تكية السيد الشيخ الملا قاسم التويجري / منطقة التحرير.

5. تكية الشيخ سرور آل الشيخ حسن المعروف أبو الشملة الرفاعي.

6. الشيخ عبد الرزاق كريوي النجداوي حاضرا.

7. إبراهيم عبد الكريم الجنابي.

8. مصطفى عبد الكريم الجنابي.

9. ستار عبد الكريم الجنابي.

10. جبار الجنابي وهو شيخ الطريقة في ديالى ويسكنون منطقة الخالص.